

المحاضرة الرابعة: اللغة العربية ولهجاتها.

تمهيد:

إنّ العلاقة التي بين اللغة واللهجة هي العلاقة التي بين العام والخاص، فاللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي على بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات أفراد البيئة، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تشير اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فمهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات.

اللغة العربية ولهجاتها

يقول إبراهيم أنيس: حين نعرض اللغة العربية قبل الإسلام، لا نريد أن نذهب إلى أبعد من تلك العصور الجاهلية التي رُويت لها آثارا أدبية من شعر ونثر...والذي تحققت صحته من تلك الآثار الأدبية، لا يكاد يجاوز قرنا أو قرنين قبل ظهور الإسلام. وقد ظلت تلك الآثار الأدبية تناقلتها الألسن، وتعيها الحافظة زمنا بالقصير، ومهما يكن من عناية العرب بآدابهم، واعتمادهم على الذاكرة، حين فقدت وسائل التدوين، وشاعت الأمية بينهم، مهما يكن من قوة هذه الذاكرة، فلا شك أنّ تلك الآثار قد اعتورتها من عوامل النقص والزيادة، وضعف الرواية في بعض الأحيان¹.

¹ - إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، ص

إنّ الإشكال المطروح هو: كيف نشأت اللغة العربية المشتركة أمّن كل اللهجات العربية، أم من لهجة واحدة تحققت لها السيادة على غيرها من اللهجات؟

ذهب القدامى إلى أنّ العربية المشتركة هي لغة قريش، ذلك أنّ قريشا في نظرهم أفصح العرب وأصفاهم لغة؛ لأنهم كانوا يسكنون جوار البيت العتيق، فمنحهم هذا الجوار سلطة روحية وأدبية، وكانت الوفود تأتيهم من مختلف القبائل العربية فيختارون من ألسنتها ما وافق طباعهم.¹ وفي هذا الصدد يقول أحمد بن فارس: أجمع علماءنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم أنّ قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أنّ الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، فجعل قريشا قطان حرمة وجيران بيته الحرام وولادته، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلانئهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب وخلت لغتهم من مستقبح اللغات والألفاظ.²

ونجد ترجيحاً لهذا الرأي في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، مفاده: «سال معاوية يوما: من أفصح الناس، فقال قائل قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس لهم غمغمة قضاة ولا طمطمانيّة حمير. قال من هم؟ قال قريش»³

¹ - محمد شفيع الدين، اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى - دراسة لغوية - مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، مج: 04، ديسمبر 2007، ص 10.

² - أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، تح. مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران - بيروت - 1964م، ص 52.

³ - إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، ص 40.

وظلت مع هذا كل قبيلة تتمسك بلهجة كلامها في الخطاب العادي بين أفراد القبيلة بعضهم مع بعض. فالوحدة اللغوية بدأت قبل ظهور الإسلام، بل ونمت وازدهرت، وعرف كثير من العرب من قبائل مختلفة بفصاحة القول وإجادة الشعر؛ لأنّ إتقان تلك اللغة الأدبية كان موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس، يحاولون إتقانها والتفنن في نواحي القول بها¹.

ولما جاء الإسلام، ونزل القرآن بتلك اللغة الأدبية قوى من تلك الوحدة اللغوية وزاد في شمولها، لأنّ الرغبة الدينية، وقوة الشعور الديني قد دعا كثيرا من العامة إلى تفهم الكتاب الكريم والتعبد به. ولم يكن الأسلوب القرآني في متناول جميع العرب، بل كان أسمى من هذا وأرقى؛ فقد جاء يتحدى الخاصة منهم، وظل حتى الآن يتحدى الخاصة منا، ولم يمنع هذا أن يبجل في كل

¹-إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، ص 36.

جامعة أحمد زبانة غليزان

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

محاضرات في علم اللهجات

السنة الأولى ماستر تخصص لسانيات عامة.

الدكتورة: مغاري لويذة